تحولات وتحديات العالم العربي
في النظام العالمي الراهن

هاني سليمان
نائب مدير المركز العربي للبحوث والدراسات
مدير تحرير مجلة "آفاق سياسية"

تعد الفترة الحالية حاسمة في مستقبل العالم العربي، بما تشهده المنطقة من تشابكات وتعقيدات وتحديات هائلة؛ وكأن الدول العربية لا تنفك تخرج من أزمة حتى تدخل في أخرى؛ بدءاً بدرس المقاومة والتحرر من الاستعمار، ثم الحروب العربية الإسرائيلية، مروراً بمأزق حربيّ الخليج، ثم تبعات ١١ سبتمبر، وأخيراً النواتج القاسية لمرحلة ما بعد "الربيع العربي"، ومنها أزمة مقاطعة بعض الدول العربية لدولة قطر.

وفي خضم تلك المراحل المتلاحقة، مرت فكرة "العروبة" و"القومية" العربية باختبارات ليست هينة، وعانت الدولة في العالم العربي من أزمات شديدة، إلا أنها كانت تتعافى وتقاوم في سبيل مواجهة الأخطار المشتركة. ربما تتشابه تلك المراحل بشكل نسبي، لكن أزمة ما بعد الربيع العربي تعد حاسمة بكل المقاييس، حيث تعاني الدولة أزمة وجود، من خلال تنوع التهديدات والمخاطر من الداخل والخارج، ووجود أنماط غير تقليدية من التحالفات، والتوازنات الاستراتيجية والعسكرية، بما يؤسس لمرحلة شديدة الحساسية من التغير في موازين القوى في المنطقة، خاصة مع استهداف الدول التاريخية مثل العراق، سوريا، ومصر، بأجيال مستحدثة من الحروب، ووجود منافسين للدولة في خصائصها ومهامها.

وتتسم الأزمات المتصاعدة في المنطقة العربية بالتسارع، اللامنطق، التغير، وارتباط الداخل بالخارج؛ بحيث لا يمكن توقع مسارها، ولا يوجد فيها حلفاء أو أعداء دائمون، أو أطر ثابتة للعلاقات، في ظل عولمة يختلط فيها الداخلي بالخارجي.

وفي هذا الإطار، ومن أجل فهم عميق لتحولات العالم العربي، لا بد من دراسة الخصائص الحاكمة للتفاعلات في العالم المعاصر، تمهيداً للوقوف على ما يعتريه من تحديات تفرض نفسها بقوة.

أولاً - الخصائص الحاكمة للتفاعلات المعاصرة في العالم العربي

برغم تعدد العوامل الحاكمة للعلاقات والأطر الناظمة لعلاقات السلم والصراع، إلا أننا بصدد خاصتين مميزيتين للمرحلة التي يمر بها العالم العربي في الفترة الحالية؛ وهي طغيان عصر الاضطراب، وسيولة القواعد والتشابكات.

(١) بدايات عصر الاضطراب العالمي

إن كافة المعطيات والمخرجات التي يزخر بها عالم اليوم، تؤكد ما ذهب إليه عالم السياسة الأميركي جيمس روزناو، وأطلق عليه عصر الاضطراب العالمي global turbulence وهذا الاضطراب قد أثر في أداء الدول ذاتها وفي تماسك المجتمعات وفي القيم السائدة فيها وفي مختلف ضروب السلوك السياسي والاجتماعي، سواء لدى النخبة أو لدى الجماهير(١).

ومن أهم ملامح هذا العصر والذي ترسخت معانيه في المنطقة العربية؛ وجود ما يسمى الظواهر التفاعلية الجزئية الكليةmicro-macro phenomena، بمعنى زوال الحدود بين ما هو داخلي اقليمي وعالمي، من تداخل التفاعلات والأدوار والتشابك في العلاقات، أيضاً وجود عوالم متعددة الدول multi-centric worlds وما تفرضها من قيم التعايش، وعدم جدوى الإقصاء، ثم التزامن بين التغيير والاستمرارية، وهو ما أفرزته موجة "الربيع العربي"(٢).

فقد وجدت الدول العربية نفسها محاطة بتحولات وتغييرات إقليمية تصاعدت تدريجياً وصولاً لحالة الاضطراب الحالية، منذ التحول السياسي بانهيار الاتحاد السوفييتي، مروراً

بموجة ما بعد ١١ سبتمبر، ثم الأزمة الاقتصادية الكبرى التي ضربت الاقتصاد الأميركي عام ٢٠٠٨ وأدت إلى سقوط النموذج الرأسمالي الكلاسيكي(٣).

كما أنه للصراع الثقافي تأثير بالغ الحدة عبّر عنه عالم السياسة الأميركي الشهير «صمويل هنتنجتون» فى مقال بعنوان «صراع الحضارات»، وأيضاً عوامل أخرى، مثل تصاعد تيار «الجهادية الإسلامية»، علاوة على فقدان الدولة لمصداقيتها مع زيادة الفجوة بين النخبة المتحكمة سياسياً واقتصادياً والجماهير نتيجة احتكارها للسياسة والثروة معاً، وأخيراً روح التمرد التي سادت بين أجيال الشباب بحكم اختلاف رؤيتهم للعالم اختلافاً عميقاً عن رؤى العالم لدى الأجيال الأكبر سناً(٤). كل تلك الملامح، علاوة على موجة (الثورات العربية) وارتداداتها، تؤصل لدخول العالم العربي دائرة عصر الاضطراب، ليصبح هو محورها بقضايا المنطقة وتأزمها المستمر، وتعقد قضاياها واستعصائها على الحل. مع الأخذ في الاعتبار طبيعة النظام العالمي قيد التشكل الذي تحاول فيه عدة قوى فرض نفسها في إطار عالم متعدد الأقطاب.

(٢) سيولة العلاقات والتحالفات

يرى الكاتب الألماني زيجمونت باومان في كتابه «الحداثة السّائلة»(٥) أننا بصدد طور جديد من الحداثة أدى إليه الطور السّابق الذي يسمّيه «الحداثة الصّلبة»، ويطلق عليه الحداثة السائلة، وهي الحقبة التي أصبغت التفاعلات والعلاقات الدولية التي تتميز بعدد من التحولات؛ مثل :

أ- المُرونة : وتعني القدرة على الدخول والخروج السّريع، واستغلال العمّال والموارد البيئية دون روادع.

ب- السّرعة : حيث تمثل علامة قوّة وسيطرة؛ فالأسرع أقوى ويستطيع فرض إرادته.

جـ لم يعد للمكان (الجغرافيا) أهميّة تُذكر: (طبقا لبعض الآراء) فالمكان كلفة وعبء، لذلك انتهى عصر الاستعمار المُقيم (الكلاسيكيّ)، فالأكثر ملاءمة إنشاء سلطةٍ عميلة تابعة، يمكن استبادلها بسهولة وسرعة، تنفّذ برامج الهيمنة من الداخل، بأيدي وسواعد وطنية، وقليلة الكلفة، بدلًا من احتلال الأرض، وتأمين حمايتها عسكريًّا بالجيوش. وهو ما يحدث من الارتباطات المصلحية وارتباطات بعض النخب العربية بعلاقات خارجية بدول الاستعمار بشكل جديد قديم.

د_ حالة اللايقين : فلا شيء مؤكد ومطلق في التفاعلات والعلاقات الدولية، التحالفات، المواقف، علاقات التعاون والصراع، فقد تراجعت قدرات التنبؤ والاستشراف.

وتنطبق تلك الحالة على العلاقات في المنطقة العربية بعد ٢٠١١ تحديداً، حيث علاقات بعض الدول ببعضها، مثل موقف الدول العربية من الأنظمة التي طالها عدم الاستقرار إبان "الربيع العربي"، وعلاقة السعودية ومصر التي تراوحت بين التوتر والحميمية في فترات متقاربة أكثر من مرة، وعلاقة قطر بالسعودية وزيارة الملك سلمان للدوحة، بعدها مباشرة حالة قطيعة من دول الخليج والسعودية لقطر، ثم علاقة مصر والسودان في فترات مختلفة بين التصعيد في الخطاب والاحتواء، وخطاب ترامب المعادي للسعودية ثم التحول لعلاقات قوية مع قمة الرياض، حتى في وصول الإسلاميين للحكم بعد "الربيع العربي"، وسرعة السقوط والتراجع، ..إلخ. وغيرها من التفاعلات المتسارعة والتحولات الكبرى في المنطقة التي تتسم بالسرعة وعدم اليقين، ومرونة الدخول والخروج السريع من التحالفات ودوائر الصراع.

وقد قدم باومان توصيفاً سوسيولوجياً نادراً لانعكاسات عصر الاضطراب العالمي على سلوك الدول وأنساق القيم وأخلاقيات الشعوب(٦). وحدد عدة تحولات في خمسة عناصر أساسية هي: تحول الاقتصاد من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات العالمي، والتحول من الحداثة إلى العولمة، وسقوط النموذج القديم للأمن القومي، وصعود نموذج جديد هو الأمن القومي المعلوماتي، والتحول إلى حضارة عالمية جيدة(٧).

وإذا أردنا أن نتعمق في فهم تلك السّيولة عربيًا، فنحن بصدد الحديث عن أربعة ارتباطات:

أولها، مركزيّة الجغرافيا والمكان: حيث تكون الجغرافيا ذات أهميّة محدودة، لقوىً قادرةٍ على اختراق أمكنة الآخرين بشكل فعلي عسكري، أو اقتصادي سياسي، إلا أنّها تُصبح مسألة مصيرية بالنّسبة لأنظمة لا تمتلك شرعيّة شعبيّة، بل تستمدُّ وظيفتها بالنسبة للقوى الدولية من خلال قُدرتها على بسط هيمنتها على مساحةٍ بعينها، وتستمدّ تمويلها لأنشطتها ورفاهيتها مما تنتزعه من سكان هذه المنطقة على شكل ضرائب ورسوم، فساد.

ثانياً، مجتمعات الأمان: وهنا تأتي تصفية السّلطة لذاتها كعرضٍ لتصفيتها المجتمع المُسيَّس، كما تعتبر الإثنيّة والطائفة والعشيرة هنا تشكيلات مكانيّة «صلبة»، من حيث أن وجودها في حيز جغرافي مُعيّن ضروري لديمومتها، مثل مركزيّة «الأرض» واستيطانها بالنّسبة للمشروع الصهيونيّ، التّطهير الجغرافيّ الذي تُمارسه القوى الطائفيّة والقوميّة في سوريا والعراق.

ثالثاً، «المجتمعات المتفجّرة»: وهنا تكون العودة إلى الإثنيّة والعنصريّة كنتيجة لتفكّك السياسة وخصخصتها، وهذه المجتمعات تكون عرضة دائماً للتفجر، كما أن بقاءها يتطلّب ممارسة العنف على الآخرين لتوطيد وتثبيت التّماسك الداخلي، ينطبق الأمر نفسه على الأنظمة العربيّة، فهي أيضًا مجتمعات متفجّرة تربط بين عناصرها مصالح آنيّة تُعمّد بالعنف .

رابعاً، الحروب السائلة وتفكّك الدولة: وأهم سماتها انتفاء احتكار الدوّلة للعنف، فهناك العديد ممن يشاركونها تلك الخاصية، مما يفتح الباب لحروب مستقبلية عبارة عن معارك تخوضها عشائر، وطوائف، ومجموعات إرهابية، وعصابات، ومجرمين، وقراصنة.(٨) ونرى تطبيقات قراءة الأطراف تلك يوميًا في بلدان مثل سورية واليمن وليبيا، وإلى حد أبعد، في العراق. ففي بعض الدول تحولت السّلطة إلى ميليشيا ضمن ميليشيات أخرى متنازعة، ترتكب العنف يوميًا للحفاظ على تماسكها، و«مكانها» حيث وصلنا إلى حروب سائلة، تقوم بها مجتمعات متفجّرة صلبة(٩).

وتأكيداً لظاهرة السيولة، فلم يكن باومان وحده الذي تصدى لإشكاليات العالم المعاصر وتخبطات الشرق الأوسط والمنطقة العربية، فقد استخدم مايكل والتزر وصف «السميك» مقابل «الرفيع»، علاوة على توصيف جوزيف ناى للقوة فى العلاقات الدولية بين الخشونة والنعومة(١٠)، وما يسميه ضياء الدين سردار عصر "ما بعد الاعتيادي post normal time" حيث تموت التقاليد القديمة فى حين لم تنشأ بعد تقاليد جديدة، ولا شىء فى الحقيقة يبدو معقولاً فى تلك الأزمنة بينهما(١١).

ثانياً - تحولات وتحديات العالم العربي في عصر مضطرب

في خضم تلك التحولات والتغيرات العالمية والإقليمية المحيطة، يعج العالم العربي بالعديد من التحديات القديمة، والجديدة، والقديمة الجديدة، بحيث تشكل اختباراً شديد الصعوبة، لا يؤثر فقط على استقرار الدول والأنظمة، وإنما أضحت في معظمها تمس أزمة وجود الدول العربية ذاتها. وهنا سوف نتناول أهم القضايا التي ربما تشكل تهديداً وتحدياً مستمراً للعالم العربي.

(١) الأزمة المؤسسية في العالم العربي

إن أحد عجائب الدنيا في رأيي أنه لم يتوفر لأي تجمع اقليمي، في أي منطقة من العالم، ما توفر للدول العربية من وحدة جغرافية، لغوية، ثقافية، دينية، حتى وحدة التهديدات والاهتمامات، ورغم ذلك لم تستطع الدول العربية اتخاذ خطوات مؤسسية قوية فيما يتعلق بوحدة القرار والمواقف، التكامل أو السوق العربية المشتركة أو العملة الموحدة على غرار ما حدث في الاتحاد الأوروبي، أو يسعى له بخطوات متقدمة، الاتحاد الأفريقي.

وعلى الرغم من إنشاء جامعة الدول العربية، لتكون حاضنة وتجمع للتعاون بين الدول العربية، إلا أنها واجهت عدة صعوبات وتحديات فارقة في مسيرتها، بلغت مداها في الفترة الأخيرة، وبخاصة منذ ٢٠١١. فقد كانت القاعدة الحاكمة لأروقة القرارات داخل الجامعة هي عدم التوافق، وأثبتت المقولة المتداولة بين الشعوب العربية على أن "العرب اتفقوا على ألا يتفقوا"، خاصة مع الخلافات الحادة داخل الجامعة فيما يتعلق بالعديد من الملفات، بدأت بالوضع في العراق، وعدم قدرة الجامعة على اتخاذ قرار فيما يتعلق بالوضع في ليبيا، ونقلت الصراع برمته لمجلس الأمن وكأنها ليست دولة عربية، علاوة على الخلاف الحاد بين قطر من جانب وعديد الدول العربية من جانب، والفاجعة الكبرى في سوريا والخلاف الذي امتد كثيراً حول وضع بشار الأسد، وأيضاً أزمة الشرعية في اليمن، والخلاف حول قضايا عديدة من بينها تعدد الحكومات والبرلمانات في ليبيا وعرضتها للتقسيم إثر دعم حركات وميليشيات مختلفة بأموال هي للأسف عربية، وأيضاً

رفض التدخل المصري لضرب الإرهابيين في ليبيا والذي عورض من جانب عدة دول كتونس والجزائر، وأيضاً عدم القدرة على حسم ملفات وإهمال الأوضاع في الصومال، وغيرها من القضايا الشائكة.

فقد أضحت الجامعة العربية "معوَّقة"، و "معوِّقة"، الاثنين معاً، حكمتها علاقات التجاذبات، والتحالفات، ومحاولات استعراض مواقف معينة من جانب دول معينة، الأمر الذي جعل البعض يتحدث عن أن قرارات الجامعة العربية يتم الاتفاق عليها خارج أروقة الجامعة، علاوة على ذلك، نجد اعتذار المغرب عن استضافة مؤتمر القمة، انطلاقاً من عدم قناعة بجدوى الجامعة ومؤتمراتها في حل النزاع بقدر ما أصبحت عليه من "تكريس" النزاعات، ثم اعتذار الإمارات لاحقاً، وهو ما انعكس أيضاً على مستوى التمثيل المتدني داخل الجامعة في عديد من القمم، آخرها قمة نواكشوط التي كان حجم التمثيل فيها ضعيفاً للغاية، وقراراتها بلا طائل يذكر(١٢).

أعادت تلك الاختبارات العميقة، دعوات الحديث عن إصلاح الجامعة العربية، تلك الرغبة القديمة الجديدة، لكن السؤال أصبح أكثر اختلافاً، حيث الحديث عن جهود الإصلاح نخبوياً(١٣)، ودعوات النظر في فكرة الجامعة بالأساس شعبوياً، خاصة مع اختبار نظام اتخاذ القرارات، والتمويل، والفاعلية في العديد من الأزمات والاختبارات الحقيقية(١٤).

إن أزمة الجامعة العربية، لم تعد الوحيدة، حيث هناك شكوك كثيرة فيما يتعلق بمستقبل مجلس التعاون الخليجي، بعد أزمته القائمة حالياً ومقاطعة قطر. فقد كان مجلس التعاون الأكثر توافقاً وتنظيماً، مقارنة بالجامعة العربية، وقد مثَّل حالة نادرة من الفاعلية بين التنظيمات الإقليمية الفاشلة والهشة في العالم العربي، وكان يعدّ نموذجاً للتماسك والدبلوماسية. وبصرف النظر عما ستؤول إليه الأمور، إلا أنه يمكننا أن نجزم أنه لن يعود هذا المجلس كما كان؛ إذ إن دول الخليج لم تلجأ لمثل هذه الأساليب العنيفة في تاريخ صراعاتها منذ تأسيس مجلس التعاون في أعقاب "الثورة الإسلامية الإيرانية"، وظل المجلس محافظاً على تماسكه في أحلك الظروف، وفي أسوأ الخلافات؛ نتيجة للتعامل "الأخوي" في حل الخلافات، والطابع البدوي القبائلي لشعوب المجلس ودوله(١٥).

(٢) هشاشة النظام العربي، وغياب المشروع

إن أكبر التحديات التي تواجه النظام العربي في العالم المعاصر هي هشاشته وهزاله، فلا يوجد مركز ثقل وقوى يجمع أركانه، فقد مر النظام العربي باختبارات عديدة شديدة الوطأة أحدثت شروخاً عديدة في بنيانه، بدءاً من حرب الخليج الثانية، مروراً بموجة الحرب على الإرهاب بعد احداث ١١ سبتمبر، ثم موجة "الربيع العربي"، وما أحدثته من صدع، ثم أخيراً أزمة الخليج العربي الحالية، ومقاطعة قطر، وبصرف النظر عن أسباب المقاطعة، إلا أنها سابقة تعد أولى وفريدة من نوعها بين دول مجلس التعاون الخليجي.

لقد كانت هناك حماسة شديدة بين النخب والشعوب ببناء مشروع الدولة بعد نيل الاستقلال من فرنسا وبريطانيا، وكان الإيمان بالوحدة العربية، وتحرير فلسطين يبدو وكأنه كتب على جينات الأمة. إلا أن ذلك الزخم، تراجع شيئاً فشيئاً، وتلاشى بريقه مع الاخفاقات المتتالية، وعدم أخذ خطوات مؤسسية في سبيل منطقة تجارة حرة وسوق مشتركة أو عملة موحدة، وغيرها من الخطوات التي استهدفت وحدة كاملة.

في هذا السياق نشأت مشروعات أخرى في المنطقة في ظل تراجع المشروع العربي؛ الذي قوبل بمواجهة من النظام الدولي والإقليمي الذي خشي دائماً هذا الاحتمال. فبينما تكونت القومية التركية في كيان تركي ممتد وحديث، في محاولة إحياء الدولة العثمانية، تكونت القومية الفارسية هي الأخرى في كيان إيراني يؤسس لدولة ذات أركان إمبراطورية، وفي الوقت نفسه أنشأت الصهيونية كياناً ثالثاً مصطنعاً واستعمارياً واستيطانياً اقتُطع بالقوة من قلب الأرض العربية، بمساعدة ودعم أمريكي.

وبشكل مفاجيء، كانت تجربة ثورات ٢٠١١ محاولة لم يكتب لها النجاح، بل على العكس، زادت من عمق الفجوة وخلقت مزيداً من الأزمات التي استعصت على الحل، وذهبت بما تبقى من لُحمة بين الدول العربية.

فقد أضحى العرب يفتقدون لمخرج لوضعهم الوجودي لمشروع يتعامل مع تناقضات الإقليم وتناقضات الدول العربية مما يستدعى العودة الى المشروع العربي من منطلقات منفتحة، تتقبل الاختلاف وإدارته، وتقبل غير العرب على قاعدة المساواة الكاملة(١٦).

(٣) تنامي تأثير الفواعل من غير الدول

لقد استأثرت الدولة في العالم العربي بأدوات الفعل والتأثير لفترات طويلة، من خلال احتكارها القوة، والسلطة، والضغط، إلا أن السنوات الأخيرة قد حملت العديد من التطورات لعل أهمها أن عديد من الدول العربية لم تعد وحدها تستأثر بهذا الدور، إذ ظهر العديد من الفواعل من غير الدولNon State Actors ، ويطلق عليهم البعض الفاعلون الجدد.New Actors

وقد أضحى للفاعلين من غير الدول في دوراً مهماً في تطور المنطقة العربية، خصوصاً مع التحول والتطور المستمرين في طبيعتهم وأدوارهم. فلم تعد حركات التحرر الوطني، مثل منظمة التحرير الفلسطينية، أو الشركات المتعددة الجنسيات العاملة في مجال النفط هي النمط الوحيد السائد من الفاعلين من غير الدول، وإنما تولدت وتنامى نشاط شركات الاتصالات وشركات محركات البحث، مثل "جوجل" و"فيسبوك" خاصة مع حالة الثورة التي شهدتها المنطقة، وما صاحب هذه الحالة من تغيير جذري أطاح النظم القائمة.

لقد أضحت خريطة الفاعلين من غير الدول في المنطقة أكثر تعقيداً وتداخلاً؛ فهناك الفاعلون من غير الدول المحليين مثل الأحزاب السياسية، والمحاكم الإسلامية، والفاعلين العابرين للحدود مثل حزب الله، وتنظيم القاعدة، والشركات المتعددة الجنسيات.

وهناك أيضاً الفاعلون من غير الدول "التقليديون"، والفاعلون من غير الدول "الجدد". علاوة على نشوء بعض الفاعلين الجدد في دول لم تكتمل نشأتها بعد، مثل حركة حماس، ،حزب الله في لبنان، جيش المهدي في العراق، المحاكم الإسلامية في الصومال(١٧).

ولقد أحدثت موجات (الربيع العربي) دخول فاعلين جدد، أو تأكيد سطوة وقدرة فاعلين سابقين، فقد أنتجت الأحداث أدواراً لما أطلق عليه ‘state-parallel’ paramilitaries أو الجيوش الموازية وهو أمر ينطبق على الحوثيين في اليمن على سبيل المثال أو الحشد الشعبي في العراق. وهو تطور جديد عن بعض الفواعل التي أطلق عليها "state-manipulated"التي تسيطر على الدولة. فلم تعد القوات النظامية هي من تحتكر استخدام السلاح والطائرات والدبابات، فقد أضحى هناك قوى وفاعلين موازيين(١٨).

وقد أوجدت التحولات الكبرى في السنوات الأخيرة بالمنطقة العربية ما أُطلق عليه

الجيوش الثورية Revolutionary Armies ، في إشارة إلى أدوار جماعات وفاعلين من أمثال الحرس الثوري الإيراني، التي تعد ظاهرة غريبة، فمع وجود جيش وقوات نظامية إيرانية، ووزارة خارجية رسمية، إلا أن الحرس الثوري هو من يقوم بالأدوار الكبرى في المنطقة العربية في اليمن وسوريا، ونذكر هنا أدوار قاسم سليماني قائد فيلق القدس الجناح العسكري للحرس، في سوريا، وتحديداً معركة حلب(١٩)

علاوة على ذلك، كان هناك تحولاً وامتداداً أكثر اختلافاً من خلال نمو دور الجماعات الإرهابية والعنيفة أمثال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، أنصار بيت المقدس، جبهة النصرة، أحرار الشام، ..إلخ. ورغم وجود تلك الجماعات والحركات في فئة واحدة كجماعات إرهاب وعنف، إلا أن ثمة تحولاً كبيراً حدث بمنافستها الدولة في اقتسام الثروات والسيطرة على النفط، واستخدام القوة والأسلحة، والسيطرة على الإقليم(٢٠).

وفي دراسة لحوالي ٣٥٣ من الجماعات المسلحة والميليشيات الموازية(٢١)، فإنه تم التوصل إلى أنه كان هناك ٢٢٩ مجموعة مسلحة على ارتباط بشكل غير مباشر بالدولة، وعدد ٩٢ من الميليشيات هي موازية ومضادة للدولة(٢٢).

(٤) إعادة صياغة التحالفات، وتعقيدات تعريف العدو

لقد أفرزت التفاعلات في بنية النظام العربي في العقد الأخير تحولاً كبيراً في مصفوفة التحالفات وعلاقات السلم والعداء، حيث أضحى هناك إعادة ترتيب الأولويات داخل الصف العربي، فلم يعد، كما في الماضي، الاستقطاب الحاد بين القطبين الكبيرين، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، بين مشروعي الرأسمالية والاشتراكية. ولم تعد أيضاً تلك النظرة التي تختزل الخطر والعدو فقط في إسرائيل. إذ أصبح هناك العديد من التحديات والمخاطر التي تواجهها الدول العربية. والتي فرضت إعادة تعريف العدو بشكل تباينت معه من وجهة نظر لأخرى.

فقد تفاوتت السياسات الخارجية للدول العربية بما يعكس رؤيتها للتهديدات والمخاطر الخاصة بها، وهنا أضحى لدينا ثلاث تيارات رئيسة:

التيار الأول، هو التيار التقليدي الذي يرى العدو واحد، وهو العدو الإسرائيلي، بما يجتذبه من أولويات القضية الفلسطينية وشعارات وقضايا التحرر، ويمثل هذا التيار سوريا ولبنان، وحركات مثل حزب الله وحماس .

التيار الثاني، ينتمي إليه غالبية دول الخليج بزعامة السعودية، والذي يرى في إيران التهديد الأقوى والحقيقي للدول العربية، خاصة في ضوء ما يتم الحديث عنه من صراع سني شيعي، وما يزكيه من مشروعات أمريكية مطروحة مثل الشرق الأوسط الجديد، والشرق الأوسط الكبير.

ولقد ساعد على تنامي ذلك الاتجاه، ما تتبناه إيران من مشروع فارسي وصراع على النفوذ في الخليج العربي واحتلالها جزر إماراتية، وصراع على المكانة وتدخلات في اليمن، لبنان، وفي سوريا حيث ينشط الحرس الثوري وحزب الله، وتنامى هذا الدور بشكل خاص مع ثورات الربيع العربي.

التيار الثالث، وهو ما يرى في محاربة الإرهاب الأولوية الكبرى حالياً، خاصة مع تنامي العمليات الإرهابية في المنطقة، وصعود الحركات الجهادية وبخاصة تنظيم داعش الذي يعد الإصدار الأكثر توحشاً من الفكر الجهادي، ومثل جبهة النصرة، أحرار الشام، ...إلخ. فقد أضحى الإرهاب أحد أهم المخاطر على العديد من الدول العربية، والتي عانت من العديد من الأحداث الإرهابية، مثل مصر وليبيا، وهو ينخر في جسد الدولة عاملاً على هدم المؤسسات وقتل الحياة، وهذا ما استدعى عديد من الدول للدخول في تحالفات لمحاربة الإرهاب، مثل التحالف العربي لمحاربة الإرهاب، والتحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، لمساعدة التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب. ولم تخل تلك التحالفات من اعتبارات وأجندات سياسية مختلفة بحيث أصبحت كل دولة تطوع المفاهيم والألفاظ لخدمة أهدافها وتحقيق مصالحها، بحيث أصبح لفظ (الإرهاب) نفسه غير متفق عليه أو يخضع لتأويلات متباينة، وأصبح ورقة ضغط سياسية بذاته في وجه حركات معارضة وجماعات مختلفة.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أنه أضحى لا يوجد ثمة اتفاق على مصادر التهديد، ولا على ترتيبات الأولويات، وبالتالي انطلقت العديد من الدول العربية تحركها دوافعها الذاتية ورؤيتها الآنية في تحقيق أهدافها ومصلحتها في محيط مضطرب، وهو ما أدى لتوترات عربية عربية في فترات كثيرة، ومزيد من الفجوة بين الدول العربية.

(٥) عصر ما بعد النفط

لقد كان لظهور النفط في شبه الجزيرة العربية تأثيراً كبيراً على الأنظمة والشعوب العربية، وبخاصة في دول الخليج، حيث استطاعت تلك الدول بناء مظاهر الحضارة، والارتقاء بالمستويات الاقتصادية والثروات لشعوبها، الأمر الذي أنشأ نمطاً من الدولة الريعيةrentiery state ، والتي تعتمد على قطاع واحد أساسي من الدخل القومي، مثل النفط، أو غيره، تشكّل عائدات النفط عادة أكثر من ٧٠% من مجمل الإيرادات الحكومية لدول مجلس التعاون الخليجي، وكثير من هذه الدول استطاعت أيضاً أن تكون بمثابة دولة رفاه إجتماعية State of social welfare ، بحيث أقيم عَقد إجتماعي تلقائي، جوهره أن توفر الدولة لمواطنيها والمجتمع درجة عالية من الرفاهية ومستوى معيشة عالي، في مقابل التأييد السياسى وقد استطاعت الأنظمة في ضبط تلك العلاقة لعقود ممتدة.

وبالرغم من أن الثروة النفطية قد أتاحت حياة أفضل لمجتمعات تلك الدول، وساعدت في بناء مظاهر تقدم وحضارة، كما أفرزت مساحات وفرص عمل وهجرة كبيرة للعديد من شعوب الدول العربية الأخرى،(٢٣) مما أسهم في بناء علاقات ثقافية اجتماعية اقتصادية ممتدة ذات ارتدادات متشعبة، إلا أنها رغم ذلك كانت محل عديد من الآثار شديدة الخطورة إن لم يكن على المستوى المنظور، فعلى الأقل في المستقبل:

فقد كان ظهور النفط في عديد من الدول العربية، سلاح ذو حدين، حيث أضحت هدفاً دائماً ومحل طمع دائم من العديد من الدول الغربية، وبخاصة ما أثاره استخدام سلاح البترول في حرب ١٩٧٣م من ورقة ضغط على الغرب يوم أن توقفت مصانعهم وسياراتهم جراء قطع الإمدادت، ولقد كانت تلك اللحظة فارقة في علاقة الغرب بالدول العربية، حيث اتبعت عدة استراتيجيات من شأنها السيطرة أو تقاسم عائدات تلك الثروات، من خلال السيطرة عن طريق شركاتها الأجنبية مثل شركات النفط الأمريكية في العراق بعد احتلالها بدواعي واهية، والشركات الإيطالية الأوروبية في ليبيا، وضمان السيطرة على مخزون كبير من النفط العربي مثلما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أيضاً قد حافظت على علاقات سياسية قوية بدول النفط العربية، من خلال الاهتمام بضمان الاستقرار السياسي فيها وبخاصة دول الخليج حتي تضمن استقرار امدادات النفط.

لكن الأمور لم تعد كما في السابق ففى نشر تقرير أصدرته مؤسسة رايستاد الاستشارية للطاقة Rystad Energy ومقرها أوسلو، قدرت احتياطيات النفط الخام والمكثفات في الولايات المتحدة من الحقول والاكتشافات الحالية، ومن المحتمل اكتشافه في ضوء المعلومات الأولية المتوافرة في مناطق ذات احتمالات جيدة من النفط الصخري بنحو ٢٦٤ مليار برميل، خاصة مع اعتبارين؛ أولاً الاختراقات التكنولوجية التي يمكنها تخفيض تكلفة الإنتاج من النفط الصخري، ثانياً اعتماد تزايد إنتاج النفط الصخري الأمريكي (الكثيف رأس المال) على انخفاض تكلفة التمويل، حيث أدت السياسة النقدية بعد الأزم المالية فى٢٠٠٨ إلى توفر رأس المال الرخيص لتمويل شركات انتاج النفط الصخرى(٢٤)

كل ذلك انعكس بشكل كبير على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه المنطقة، وما ظهر جلياً في انسحاب الولايات المتحدة نسبياً من أزمات وملفات الشرق الأوسط، ووجود رغبة قوية في عدم الانخراط، وهو ما لازمه تحول في خطاب أوباما، ثم تحول شديد اللهجة في خطاب ترامب "المرشح" الذي هاجم دول الخليج، وتحديداً السعودية ووصفها بأنها راعية الإرهاب، ومحاصرتها من خلال قانون "جاستا" لتعويض ضحايا أحداث ١١ سبتمبر، ثم مطالباً إياها بشكل علني بدفع ثمن الجماية الأمريكية "سأذهب إلى دول الخليج التي لا تقوم بالكثير صدقوني، دول الخليج لا تملك أي شيء لكنها تملك الأموال ... سأجعلهم يدفعون الأموال، لدينا دين عام يقدر بـ ١٩ تريليون دولار، ولن ندفع أموالاً عن هذا ... لا تنسوا دول الخليج بدوننا ليس لها وجود(٢٥).

وقد انعكس ذلك أيضاً على تدهور وتدني أسعار النفط التي وصلت إلى ٣٠ دولار للبرميل بعد أن كان قد تجاوز المئة دولار(٢٦)، وهو ما أدى إلى اختلال توازن، وتحولات في ميزانيات دول كثيرة مثل السعودية، الإمارات، والكويت، مما دعاها لاتخاذ إجراءات شديدة من رفع الدعم عن المواطنين في كثير من البنود، ورفع الضرائب، والرسوم لخدمات كثيرة على المقيمين.

فمؤشرات مثل تباطؤ النمو، البطالة الآخذة بالارتفاع، جعلت صناع القرار الخليجيون أكثر جرأة على لفظ الكلمة التي كانت محرمة منذ وقت قريب: وهي الضريبة.

وتشير إحصاءات صندوق النقد الدولي بأن انخفاض أسعار النفط تسبب بخسارة ما يقارب ٣٤٠ مليار دولار من الإيرادات الحكومية المتوقعة ضمن البلدان العربية المصدرة للنفط في عام ٢٠١٥، كما أنها خسرت في عام ٢٠١٦ حوالي ٥٠٠ مليار دولار خلال عام نتيجة انخفاض أسعار النفط(٢٧)، وهو ما جعل مؤسسات دولية مثل مؤسسة موديز، وهي وكالة تصنيف عالمية، تقوم بتخفيض تصنيف البحرين وسلطنة عمان، ووضعت باقي دول مجلس التعاون الخليجي، السعودية والكويت والإمارات وقطر، تحت المراقبة(٢٨)

شكل (١)

معدلات أسعار النفط، والميزانية للناتج المحلي

الإجمالي في دول الخليج من ٢٠٠٧ وحتى ٢٠١٦

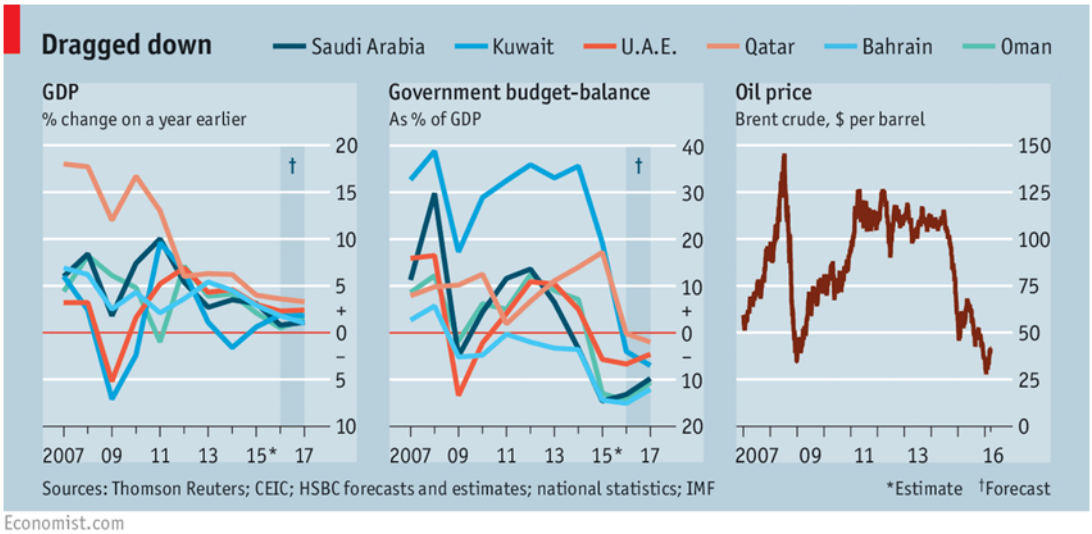

Source: The economist. Oil and the Gulf: states After the party, Mar 23rd 2016, The Link: http://www.economist.com/news/middle-east-and-africa/21695539-low-oil-price-manageable-short-term-gulf-states-must-make

تتمتع دول الخليج تتمتع باحتياطيات نقدية أجنبية مرتفعة بالتلازم مع انخفاض مستوى الدين العام، مما سمح لها بتغطية الثغرات التي نتجت عن انخفاض أسعار النفط على

المدى القصير، ولكن بالنظر إلى نمط الإنفاق السخي ضمن القطاع العام، واعتماد القطاع الخاص ضمن تلك الدول بشكل هائل على النفط أصبح هناك ضرورة لتغيير هيكلية اقتصاداتها، لتستطيع النجاة والاستمرار في عصر انخفاض الأسعار(٢٩).

وهذا التحول، ربما مع الوقت، ومع تدني مستوى الرفاهة الاجتماعية، ينعكس على علاقات الفرد والمجتمع بالدولة والسلطة السياسية، التي ربما لطبيعتها الملكية، وحداثتها مع تجارب التحول الديمقراطي، قد لا تحظى بنفس درجة الاستقرار والاتزان، خاصة مع وجودها في محيط مضطرب، ومع إلحاحات متوقعة بصياغة عقد اجتماعي جديد في ضوء معطيات جديدة، خاصة مع عدم تنوع مصادرها وعوائدها من موارد أخرى.

(٦) الصراعات المفتوحة: تنامي العنف، الطائفية، والإرهاب

تتصدر منطقة الشرق الأوسط، والمنطقة العربية في القلب منها، بؤر الصراعات العالمية عالية الكثافة، إذ أدت الصراعات المسلحة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى سقوط ما لا يقل عن ٨٢ ألف قتيل عام ٢٠١٦، واحتل الصراع الأهلي في سوريا صدارة الصراعات المسلحة الأكثر حدة بعدد ضحايا يقدر بحوالي ٥٠ ألف قتيل، وهو ما يمثل قرابة ٦١% من عدد ضحايا الصراعات في الشرق الأوسط. تليها الصومال، السودان، جنوب السودان، العراق، اليمن.

وتشير كافة الوقائع إلى المؤشرات المتصاعدة للصراعات، حيث "الصراعات الكامنة" والمجمدة (Frozen Conflicts) قد باتت أكثر عرضة للتصعيد بسبب عدم معالجة الجذور العميقة لهذه الصراعات. وما يعتريها من مؤشرات ذات دلالة هامة من خلال: أولاً، انتقال الصراع للمراكز الحضرية كما حدث في نموذج الصراع السوري وتصاعد استهداف المدن. ثانياً، تزايد النزوح الداخلي، حيث شهدت الفترة من يناير حتى أغسطس ٢٠١٦ نزوحاً داخلياً لما لا يقل عن ٩٠٠ ألف مدني في سوريا، وتزايدت أعداد المشردين داخلياً في العراق إلى ٢٣٤ ألف شخص، وفي اليمن حوالي ٥٠٠ ألف شخص، و١٩٢ ألف شخص في السودان. ثم ثالثاً، انتشار "حروب الحصار، حيث قامت القوات العراقية مدعومة بفصائل الحشد الشعبي الشيعية بمحاصرة المدن التي يسيطر عليها تنظيم داعش لتحرير الموصل. وفي ليبيا تم تحرير مدينة سرت من قبضة تنظيم داعش بعد حصار

تخللته مواجهات عسكرية كثيفة داخل المدينة، كما تسبب حصار مدينة حلب من جانب النظام السوري في نزوح آلاف المدنيين خارج المدينة، ووفقاً لبيانات رسمية فإن نهاية أكتوبر ٢٠١٦ شهدت حصار ما لا يقل عن ١,٣ مليون فرد في ٣٩ منطقة محاصرة في سوريا(٣٠)

خريطة (١) مؤشر السلام والصراع العالمي لعام ٢٠١٧

المصدر: مصطفى عبد الغني، عرض تقرير معهد السلام والاقتصاد(IEP)، عالم أقل أمناً: خرائط التهديد والعنف في مؤشر السلام العالمي ٢٠١٧، معهد السلام والاقتصاد (IEP) العدد الحادي عشر من مؤشر السلام العالمي في يونيو ٢٠١٧، مركز الستقبل، الأحد ١٨ يونيو، ٢٠١٧.

ومن خلال تحليل مؤشر السلام العالمي، وفقاً لقياس أبعاد الصراع المحلي والعالمي، مستوى الأمن والأمان، وموازين التسلح، يتضح، كما هو مبين بالخريطة، أن الدول العربية هي الأقل سلاماً بامتياز، خاصة سوريا، ليبيا، العراق السودان، اليمن، الصومال وهي ضمن دائرة الصراع والخطر. ثم وبدرجة أقل لبنان، جيبوتي واريتريا، ثم تونس، ومصر. بعدها السعودية، المغرب، والجزائر، موريتانيا.

هناك بعض المؤشرات التى تبرز السمات الحاكمة للصراع في تلك الدول:

أولاً، أجيال الإرهاب؛ يمثل خطر الحركات الإرهابية والمسلحة أحد أهم المخاطر المهددة للنظام العربى، لما لها من تأثير على الحياة الاقتصادية والسياسية، خاصة وأن هذه التنظيمات حسب بعض التأويلات لا تمثل ذاتها بل أضحت وكيلاً لدول كبرى في نظام الشرق الأوسط. ولعل الشواهد تدلل على أنها تستغل أوضاع ما بعد الثورات لاكتساب رأس مال اجتماعى ورمزى واسع، مستغلة الفراغ الذى تركته الحكومات والقوى المدنية التى تمثل قوى الثورة.

والملاحظة الهامة هنا هي التطور الخطير للإطار الفكري، التنظيمي، والحركي، لتلك الأجيال الجديدة للإرهاب، حيث ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، أفرز جيلاً أكثر عنفاً وتشدداً، من سابقه في تنظيم القاعدة، وربما ذلك ينذر بخطورة شديدة في أدبيات قطع الرقاب، والتكفير، والتحول من العدو البعيد للعدو القريب.

تحت تلك المظاهر، كان اجتياح الحركات التكفيرية في عديد من الدول، على رأسها سوريا، التي أضحت مركزاً جاذباً للإرهابيين حول العالم من داعش، وجبهة النصرة،.. وغيرها. وليبيا التي تعج بميليشيات مسلحة لا تستطيع من كثرة عددها، وتعقيد المشهد، أن تعرف من يقاتل من، ولماذا. فهناك ما يربو على ١٧٠٠ ميليشيا مسلحة منذ اندلاع "الثورة" حتى الآن. وربما الأمر الغريب هنا أن عناصر كانت تحتل مواقع قيادية في تنظيم القاعدة، والجماعة الليبية المقاتلة، تتمكن من الوصول لحكم ليبيا بعد الثورة، مثل عبد الحكيم بلحاج، وإسماعيل الصلابي، وغيرهم(٣١).

وتشير الأرقام إلى أن هناك ٣ دول عربية من ضمن أكبر ٥ دول تستحوذ على ٧٥% من إجمالي ضحايا الإرهاب؛ وهي العراق وسوريا واليمن، وهو رقم مفزع، رغم جهود ملاحقة الإرهاب.

ثانياً، ضحايا العنف المسلح، ارتفعت أعداد ضحايا الصراعات المسلحة الداخلية لتصبح حوالي ٣٠٠ ألف في عام ٢٠١٦ بزيادة تجاوزت ٧٣٢%، نتيجة الصراع في سوريا، والعراق، واليمن.

ويتسبب انتشار الصراعات والعنف في خسائر اقتصادية ضخمة، وذلك بسبب

النفقات التي تتكبدها الدول في رفع مستوي التسليح، يضاف إلى هذا أنها تؤدي إلى انهيار البنية التحتية. وتتكبد الدول الأقل سلامًا في العالم (سوريا، والعراق) خسائر اقتصادية باهظة، حيث تبلغ التكلفة الاقتصادية للعنف حوالي ٦٧% من الناتج المحلي الإجمالي في سوريا، فيما تصل في العراق إلى ما يعادل ٥٨% من إجمالي ناتجها المحلي.

ونتيجة لتلك الصراعات، كان هناك تزايد في عدد اللاجئين في عام ٢٠١٥ ليصل إلى ٦٤ مليون شخص؛ حيث أدى الصراع السوري إلى زيادة كبيرة في أعداد اللاجئين والنازحين، إذ يُصنف أكثر من ٦٨% من سكان سوريا كلاجئين أو نازحين داخليين، وذلك وفقًا لآخر البيانات المتاحة. كما شهد عدد من الدول الأخرى زيادة كبيرة في عدد النازحين، فقد نزح أكثر من ٢٠% من إجمالي السكان في جنوب السودان(٣٢).

ثالثاً، الصراع الطائفي؛ حيث يعاني العالم العربي، وبخاصة منذ ٢٠٠٣، من تنامي النزعات الطائفية، والتي صعدت إثر عوامل عدة، منها التدخل الخارجي، ولعل ما يعانيه العراق الآن لا يغيب عنه بول بريمر الحاكم المدني للعراق منذ مايو ٢٠٠٣، والذى رسخ لـ "مأسسة الطائفية" في العراق وفق قواعد تم فرضها لم يعرفها العراق من قبل، أيضاً صعدت الطائفية من خلال المأسسة التوافقية في لبنان، وفي سوريا من التهميش على أسس طائفية.

والهويات الطائفية استخدمت كأداة سياسية لجعل المنطقة في حالة عدم استقرار مستمرة، واستعانت بالحلفاء الطائفيين لخدمة مصالحها. وقد أدت التكتيكات التي منحت الهوية الطائفية دورا أكبر في الشرق الأوسط المعاصر إلى صراعات يستعصي حلها. ولقد ضاعف ذلك الأثر، الأساليب التي اعتمدتها الحكومات والمجموعات المعارضة في استخدام الهوية الطائفية والإثنية عمداً كعلاج قصير المدى للمشاكل السياسية المعاصرة(٣٣).

وفي ضوء ذلك، شهدت التحالفات الإقليمية تحولات جوهرية على مدار عام ٢٠١٥ من خلال تصاعد الاستقطاب بين المحاور الإقليمية على أسس مذهبية. وصعد هذا

الاستقطاب في عام ٢٠١٦، في ظل انتشار التحالفات المرنة في الإقليم نتيجة الافتقاد للتوافق الكامل بين القوى الإقليمية وتناقضات المصالح في أغلب القضايا المعقدة(٣٤).

(٧) إشكالية الدولة في العالم العربي

تواجه الدولة فى العديد من أجزاء العالم العربى أزمة حقيقية وغير مسبوقة، تهدد إما بانهيارها وتفكيك أوصالها أو تحولها إلى فئة الدولة الفاشلة. وتتجلى تلك الأزمة العميقة بوضوح فى كل من سوريا والعراق واليمن وليبيا والصومال، تنعكس ملامحها فى:

(١)عدم قدرة الدولة بمفهومها التقليدى على بسط سيادتها وسيطرتها على أراضيها وحدودها الخارجية، فقد أضحت العديد من الدول غير قادرة على بسط سيادتها على كامل الاقليم، أو تعرض جزء منه لخطر الانفصال، كما حدث في جنوب السودان، وما يهدد اليمن وليبيا وسوريا والعراق.

(٢) تعدد وتصاعد منافسين للدولة في أداء وظائفها، بحيث أصبحوا يشكلون تحدياً وندا لها، يظهر ذلك فى حالة العراق كان تنظيم داعش الإرهابى فاعلاً أساسياً فى الساحة العراقية – قبيل طرده من الموصل – بعد سيطرته على كثير من المدن والقرى وسعيه لفرض إيديولوجيته وقوانينه بها، وفى الحالة السورية هناك أكثر من فاعل فبالإضافة للنظام تبرز المعارضة بشقها المعتدل فى الائتلاف السورى والجيش الحر، وشقها المتطرف فى تنظيم داعش ونظرائه من الجماعات الأصولية المتشددة، وفى الحالة اليمنية يمثل الحوثيون تحدياً حقيقياً للدولة إلى جانب تنظيم القاعدة فى جزيرة العرب، وفى الحالة الليبية أصبحنا أمام حكومتين وبرلمانين يتنازعان السلطة والشرعية ويهددان بتقسيم البلاد، ثم الحالة الصومالية حيث حركة شباب المجاهدين التى تستنزف وتعيق بناء الدولة الوطنية منذ سنوات.

فلم تعد الدولة وحدها تستأثر بالوظيفة الاستخراجية والتوزيعية للثروات، فقد سيطرت داعش وجماعات عدة على العديد من المناطق وحقول النفط، التي ساعدت على تمويل التنظيم، من خلال بيعها لدول وتهريبها وصرف عوائدها والقيام بخدمات للناس في الاقليم المسيطَر عليه.

(٣) إن الصراع بين الدولة وهؤلاء الفاعلين من غير الدول تحول إلى صراع مسلح وعنيف انعكست مخرجاته فى سقوط آلاف الضحايا من القتلى والجرحى والنازحين، وتدمير واسع للبنية الأساسية ومرافق الدولة الحيوية، كما أن هذا الصراع شبه متكافئ يدور وفق منطق المباراة الصفرية وغياب حلول وسط أو تسويات عبر الحوار حيث يسعى كل طرف للقضاء على الآخر، والأخطر أن الصراع يستند لأسس عرقية ومذهبية وطائفية وقبلية .

(٤) أن حالة عدم الاستقرار وضعف الدولة أسهم فى إيجاد بيئة مواتية لتزايد الدور الخارجى فى الصراع، بما أدى إلى زيادة حدته ودرجة استقطابه، والتحكم فى تفاعلاته وتوجيهها وفقاً لأجندة ومصالح تلك القوى الخارجية(٣٥).

(٥) تعميق أزمة الدولة العربية بسبب تعثر عملية التحول الديمقراطي، ووجود رواسب من الاستبداد وتراجع الحريات والمجال العام بالنسبة لشعوب بعض الدول. وقد كان تعثر التحوّل الديمقراطي بفعل هيمنة مؤسسات الحكم وغياب إرادتها الإصلاحية وتهافت المعارضات، وأن الدولة الوطنية بات وجودها مهدداً فى بعض الدول العربية.

(٦) انشغال "الفكر الإسلامي في العصور الوسطى بالدولة الشرعية، أو الخلافة، وتركيزه على الأمة الإسلامية أكثر من تركيزه على الدولة. وانشغال هذا الفكر، بمصطلحي الخلافة والإمامة، وعندما كان هناك اهتمام ببناء الدولة–الأمة، كان هناك تباين كبير ما بين مشروعي بناء الدولة – الأمة (Nation-State Building) في كل من أوروبا والبلدان النامية ومنها الدول العربية. وهذا يعود إلى الطبيعة المتباينة لكل من هاتين التجربتين، فلا العناصر الاجتماعية ولا مستوى التطور الاقتصادي فيها كانت متشابهة .

(٧) أزمة الاندماج والهوية ومشكلة بناء الأمة في المنطقة العربية، على ضوء الانقسامات الإثنية والدينية وضرورة التعاطي مع فرضيات أساسية مستمدة من التجربة العملية والنظرية لبناء الأمم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

وقد برزت حالة التفكك وأزمتها من خلال تنامي الاحتجاج الفئوي (طائفة – مذهب – منطقة) وصعود الإسلام السياسي الذي عمق الإنقسامات الجزئية، ورسخ تحول الثقافة

السياسية في الوطن العربي من الفكر القومي الاشتراكي إلى الإسلامي. وهو ما أفضى لأزمة عجز الدولة وخطر انهيارها كما فى اليمن والحرب الأهلية في الصومال التي لا مؤشرات حول نهايتها في المدى المنظور(٣٦).

وبعد هذا العرض، نستطيع أن نقول أنه يمكن اعتبار التطور التراكمي للتحولات في النظام العربي بمثابة "الزحف الصامت" لقوى التغيير الحاد التي بلغت أوجها عقب الثورات العربية، ثم تحولت إلى واقع جديد للتفاعلات الإقليمية (New Normal) بات على الدول التكيف معه، وبات الإقليم ذاته مصنعًا للأزمات (Crisis Factory) التي باتت مهيأة للتصعيد وغير قابلة للاحتواء السريع، بالإضافة إلى اتساع نطاق تداعياتها لتشمل غالبية دول الإقليم.

ولقد كان لتتابع الأزمات وللتحولات الإقليمية العديد من الخصائص الأساسية؛ وهي:

- التطور المفاجئ: حيث لم يعد بمقدور المتابعين أو صناع القرار التنبؤ بمسار التطورات الإقليمية؛ فمن كان يتوقع رحلة الصعود والسقوط السريعين للتيارات الإسلامية عقب الثورات العربية، والذي أعقبته موجة انحسار كامل شملت غالبية دول الإقليم.
- التفجر المتتالي: إذ لا يؤدي انقضاء أزمة إقليمية معينة إلى انتهاء آثارها بصورة كلية، إذ تظل جذورها كامنة بانتظار محفزات جديدة تؤدي إلى تفجرها من جديد بصورة أكثر حدة.
- التصعيد غير المحدود: حيث لم يعد لدى الفاعلين في الأزمات الإقليمية حدود معروفة للتصعيد المتبادل، ولا يمكن توقع ردود الفعل ايضاً لمختلف الأطراف.
- التداعيات غير المقصودة: حيث بسبب تداخل وتعقيد التحولات الإقليمية في أسبابها وتداعياتها والأطراف المنخرطة بها، فإنه قد يترتب على هذه الأحداث بعض التداعيات غير المقصودة أو المحسوبة (Unintended Consequences).(37)

وختاماً

فإن توصيف وتحليل تلك التعقيدات، في ظل تلك البيئة المضطربة داخلياً وإقليمياً،

ضروري للغاية من أجل الفهم والوقوف على مواطن الخلل والتحديات التي تواجهها الدول العربية، وربما تكون مدخلاً هاماً من أجل وضع خارطة للخروج من تلك الأزمات، ومحاولة التوصل لحد أدنى من التصور لتسوية النزاعات داخل الصف العربي استناداً لقواعد عامة بعيداً عن المصالح الضيقة، وبخاصة في ظل جهود محاربة الإرهاب التي أضحت تؤتي ثمارها مع تحرير الموصل وغيرها من الأراضي العراقية، ومع الرفض الشعبي للنزعات الطائفية المذهبية التي لم تجلب سوى الدمار، ومع جهود محاربة الإرهاب في ليبيا، وفي ظل وجود أفق لحوار حول مستقبل سوريا، وأمل لا يخبو في تسوية القضية الفلسطينية. وفي ظل استيعاب العديد من الأنظمة، لدروس "الربيع العربي" القاسية من ضرورة الإصلاح الديمقراطي، والتنمية المستدامة، ووعي الشعوب أيضاً للتكلفة الباهظة في ظل نخب انتهازية، ومتربصين من الخارج والداخل.

المراجع

1. James N. Rosenau, Turbulence in World Politics: A Theory of Change and Continuity (Princeton Paperbacks: Princeton University Press, 1990).
2. Murat Gül, The concept of change and James N. Rosenau: Still international relations?, African Journal of Political Science and International Relations (Vol. 3 (5), May 2009), pp. 199-207, available at: www.academicjournals.org/AJPSIR
3. ALAN GREENSPAN, THE AGE OF TURBULENCE ADVENTURESIN A NEW WORLD (THE P E N G U I N PRESS, NEW YORK, 2 0 07)

٤. السيد يسين، بداية عصر الاضطراب العالمي، جريدة الاتحاد، ٢٧ أكتوبر، ٢٠١٦ http:// aletihadpress.com/2016/10/27/

5. Zygmunt Bauman, Liquid Modernity (Cambridge: Polity, 2012).

٦. انظر: زيغمونت باومان، سعد البازعي، بثينة الإبراهيم (ترجمة)، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة (أبو ظبي: مشروع كلمة للترجمة، ٢٠١٦)

٧. السيد يسين، خريطة معرفية لعصر الاضطراب العالمي/ جريدة الاتحاد، عدد الأحد، ١٦ أكتوبر ٢٠١٦.

٨. للمزيد انظر: Martin Van Creveld، The Transformation of War: The Most Radical Reinterpretation of Armed Conflict Since Clausewitz (Free Press, March 31, 1991)

٩. هشام البستاني، النظام العربيّ مُنتجًا موته: قراءة تطبيقيّة في «الحداثة السّائلة»، الثلاثاء ٣١ كانون الثاني ٢٠١٧، الرابط: https://www.7iber.com/politics-economics/liquid-modernity-in-the-arab-context/

10. Joseph S. Nye Jr. Soft Power: The Means to Success in World Politics ،2004

١١. د. هبة رءوف عزت، الحداثة والسياسة : مأزق النظرية وأسئلة المستقبل، مجلة الديمقراطية (مركز الأهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، العدد ٦٤، ٠٣/١٠/٢٠١٦) ـــــ متاح على الموقع: http://democracy.ahram.org.eg/News/12384/

١٢. روسيا اليوم، قمة نواكشوط.. غياب للزعامات والقرارات، ٢٦/٧/٢٠١٦، الرابط: https://arabic.rt.com/news/834052

١٣. انظر مثلاً: ورشة عمل "التكامل العربيّ: جامعة الدول العربيّة"، مؤسّسة الفكر العربيّ (القاهرة: الأمانة العامة لجامعة الدول العربيّة، ٥-٦ سبتمبر ٢٠١٥).

١٤. عماد عنان، ٣٨ قمة للجامعة العربية والقرارات "مع إيقاف التنفيذ"، نون بوست، على الرابط: https://www.noonpost.org/

١٥. فراس أبو هلال، ماذا ستخسر السعودية بعد أن يهدأ زلزال الخليج؟، ١١ يونيو ٢٠١٧، الرابط: https://www.noonpost.org/content/18385

١٦. شفيق ناظم الغبرا، المشروع العربي للخروج من الأزمة الوجودية، الحياة، ٦ أبريل ٢٠١٧ http://www.alhayat.com/Opinion/Writers/21144608/
١٧. إيمان رجب، اللاعبون الجدد: أنماط وأدوار الفاعلين من غير الدول في الثورات العربية، ٦ اكتوبر ٢٠١١، الرابط: http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/1818.aspx
18. Huseyn Aliyev, Strong militias, weak states and armed violence: Towards a theory of 'state-parallel' paramilitaries (Security Dialogue, Vol. 47(6), 2016), p.p. 498–516
19. BAYRAM SİNKAYA, THE REVOLUTIONARY GUARDS AND THE IRANIAN POLITICS: CAUSES AND OUTCOMES OF THE SHIFTING RELATIONS BETWEEN THE REVOLUTIONARY GUARDS AND THE POLITICAL LEADERSHIP IN POST-REVOLUTIONARY IRAN (Turkey: THE GRADUATE SCHOOL OF SOCIAL SCIENCES OF MIDDLE EAST TECHNICAL UNIVERSITY, FEBRUARY 2011), p.p. 20-54.
٢٠. انظر أيضاً: راندا موسى، محركات التحول الديمقراطي :ندوة" :تأثير الفاعلين من غير الدول في النزاعات بالشرق الأوسط، الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠١٢، الرابط:http:// www.siyassa.org.eg/NewsQ/2403.aspx
٢١. قاعدة بيانات الميليشيات (كاري إت آل.، ٢٠١٣)، يمكن الاطلاع عليها في: http:// /www.sowi.uni-mannheim.de
22. Huseyn Aliyev, Strong militias, weak states and armed violence: Towards a theory of 'state-parallel' paramilitaries (Security Dialogue, Vol. 47(6), 2016), p. 516.
٢٣. انظر: صامولي شيلكه، عمرو خيري (ترجمة)، حتى ينتهي النفط ..الهجرة والأحلام في ضواحي الخليج (دار صفصافة للنشر، ٢٠١٦)
٢٤. بوابة العين، النفط الصخري الأمريكي ومستقبل الأسعار، ١٠-٦-٢٠١٧، الرابط:https://al-ain.com/article/american-rock-oil-and-the-future-of-prices-1#.WT3LXMM_dEc.facebook
٢٥. https://www.youtube.com/watch?v=xJoiNjqmZkc
٢٦. بي بي سي عربي، أسعار النفط عالمياً تسجل أدنى مستوى لها خلال ١٢ عاماً، الرابط:http://www.bbc.com/arabic/business/2016/01/160114_oil_price_briefly_falls_below_30_a_barrel
٢٧. كيف انعكس تراجع أسعار النفط على حياة الناس بالخليج؟ http:// www.aljazeera.net/programs/economyandpeople/2016/4/9/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%86%D8%B9%D9%83%D8%B3-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%B9-%D8%A3%D8%B3%D8%B9%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B3-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC
٢٨. للمزيد انظر: ملف ندوة "تداعيات □بوط أسعار النفط على البلدان المصدرة"، المركز

العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٧ نوفمبر ٢٠١٥، الرابط: http://www.dohainstitute.org/file/Get/266b3579-0c25-43dc-a70a-8ad344325b98

29. The economist. Oil and the Gulf: states After the party, Mar 23rd 2016, The Link: http://www.economist.com/news/middle-east-and-africa/21695539-low-oil-price-manageable-short-term-gulf-states-must-make

٣٠. محمد عبد الله يونس، من الأطراف إلى المركز: تحولات خريطة الصراعات المسلحة في العالم عام ٢٠١٧، الجمعة، ١٢ مايو، ٢٠١٧، الرابط: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2789/

٣١. للمزيد انظر: هاني سليمان، وآخرون، موسوعة التطرف: سير وأفكار شخصيات القاعدة والسلفية وداعش في المنطقة والعالم (بغداد: الرافدين للنشر، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، ٢٠١٧، ٣ مجلدات).

٣٢. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، خرائط التهديد والعنف في مؤشر السلام العالمي ٢٠١٧، معهد السلام والاقتصاد(IEP) ، الأحد، ١٨ يونيو، ٢٠١٧، الرابط: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2910/

٣٣. جون ألترمان، الشرق الأوسط نسيج يتفكك بسلاح التعددية الطائفية، جريدة العرب، ١١-٨-٢٠١٤، العدد: ٩٦٤٥، ص٧، الرابط: http://alarab.co.uk/?id=30069

٣٤. للمزيد انظر: مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الشرق الأوسط ٢٠١٦: اتجاهات التحول من الفوضى إلى احتواء الأزمات، الجمعة، ١٢ فبراير، ٢٠١٦ https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/377/

٣٥. أحمد سيد احمد، أزمة الدولة فى العالم العربى، جريدة الأهرام، ١٠ سبتمبر ٢٠١٤، الرابط: http://www.ahram.org.eg/News/41301/4/325111/

٣٦. للمزيد انظر: عادل مجاهد الشرجبي وآخرون، أزمة الدولة في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز كارنيفي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١).

٣٧. محمد عبد الله يونس، استيعاب الصدمات: كيف تتعامل دول الشرق الأوسط مع التحولات الإقليمية الكبرى؟، ٨ يوليه، ٢٠١٧، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الرابط: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2966